غـزالٌ إذا مـالاحَ أو فـاحَ نـشـرُهُ تُـعـذَّبُ أرواحٌ وتَـعْـذُبُ أرواحُ
وكـرخـيَّـةٍ[1] عـذراءَ يُـعْـذَرُ حِـبُّـهـا ومِـنْ زَنْـدِهـا في الـدَّهـرِ تُـقْـدَحُ أقـداحُ
إذا جُلِيَتْ في الكأسِ والليلُ ما انجلى تـقـابَـلَ إصـبـاحٌ لـديـكَ ومـصـبـاحُ
يـطـوفُ بـهـا سـاقٍ يـسـوقُ جِـمـالَـهُ نَـفَـاقٌ لإفـسـادِ الـهـوى فـيـه إصـلاحُ
بـه عُـجْـمـةٌ في الـلَّـفـظِ تُـغْـري بـوَصْـلِـهِ وإن كـانَ مـنـهُ بـالـقـطـيـعـةِ إفـصـاحُ
وغُـرَّتُـهُ صـبـحٌ وطُـرَّتُـه دُجًـى ومَـبْـسِـمُـهُ دُرٌّ وريـقـتُـهُ راحُ[2]
أباح دمي مُذْ بُحْتُ في الحبِّ باسمِهِ وبالشَّجْوِ من قبلي المُحِبُّونَ قد باحوا

ومن نثره: أمطاه اللهُ غوارِبَ[3] العلا وصهواتها، وأعطاه مطالبَ المنى وشهواتِها.

ومنه: كتابنا وملابس السلامة علينا ضافية سابغة، وموارد السعادة صافية سائغة.

السنة الثامنة والتسعون والأربع مئة

فيها تُوفِّي بركياروق، ودخل السلطان محمد شاه بغداد وخطب له بالسلطنة، ثم خرج منها في شعبان إلى الجبل.

وفيها مرض أتابك طُغْتِكين مرضاً خاف منه على نفسه، فكاتب الأميرَ سُكمان بن أُرْتُق صاحب ماردين يستدعيه إلى دمشق في عسكره ليوصي إليه في حماية دمشق وأهله وولده، فجاء سُكْمان فنزل القريتين، فلام طُغْتِكينَ أصحابُه، وقالوا: تُعطي ابنَ أُرْتق دمشق وتُخرِجُها عن ولدك وولد مولاك، وكيف يكون حالنا؟ أوليس قد عرفت أتْسِز لمَّا استُدعي تاج الدولة لنصرته كيف قتله واستولى على الشام، فانتبه طُغْتِكين من غفلته وندم، فأرسل إليه: تثبَّتْ مكانك، فأنا خارجٌ إلى خدمتك. فاتَّفق أنَّ سُكْمان مرض تلك الليلة مرضاً شديداً، وأصبح ميتاً، فأخذه أصحابُه في تابوت، ورحلوا إلى ماردين، فسُرَّ طُغْتِكين.

(١) كرخيَّة؛ أي: منسوبة إلى الكرخ: وهي بلدة نواحي بغداد، وقد تقدمت كثيراً.
(٢) هذا البيت من (ب)، وهو في معجم الأدباء ١٢/ ١٩٩. والرَّاح: الخمر.
(٣) الغوارب؛ جمع غارب: وهو ما بين السنام والعنق. تاج العروس (غرب).

وفيها هلك صَنجيل صاحبُ أنطاكية، وكان قد صالح ابنَ عمار بطرابلس وهادنه؛ أن يكون لصَنجيل ظاهر طرابلس ولا يقطع الميرة والمسافرين عنها.

وفي شعبان توجَّه طُغْتِكين إلى بعلبك منكراً على كُمُشْتِكين الخادم أسباباً ظهرت منه، وحصرها وضايقها، فبعث يتنصل ويحلف على بطلان ما نقل إليه، فصفح عنه، ورحل إلى حمص، فنزل رفنية، وكان الفرنج قد أحدثوا بها حصناً، فهدمه وقتل مَنْ كان فيه، وأخرب الحصن وأبراج رفنية[١]، وسار إلى حمص.

وفي رجب خرج فخر الملك[٢] رضوان من حلب في خلقٍ عظيم قاصداً طرابلس ينجدها على الفرنج النازلين عليها، وكان الأرمن الذين في حصن أَرْتاح قد سلَّموه إلى رضوان لمَّا شمله جَوْرُ الفرنج، وخرج طُغْتِكري من أنطاكية ليخلص حصن أَرْتاح، فالتقى رضوانَ، واقتتل الفريقان، فانهزم فرسان المسلمين، وثبت الرجَّالةُ وأحداثُ حلب، فحصدهم الفرنج، وفُقِدَ من الفرسان والرجَّالة ثلاثةُ آلاف، ورجع رضوان إلى حلب، وهرب المسلمون من حصن أَرْتاح، وتسلَّمه الفرنج.

وفيها عاد أرياش وأيتكين الحلبي إلى بصرى من الرحبة، فخرج طُغْتكين بالعساكر، ونازل بصرى وحصرهما فيها، واتفق خروج العسكر المصري في عشرة آلاف مع الأمير شمس المعالي ولد الأفضل، وكوتِبَ طُغْتِكين بالمسير معه إلى قتال الفرنج وكان نازلاً على بصرى، فامتنع، ثم رأى تقديمَ الجهاد، فسار إلى العسكر المصري، والتقى المسلمون والفرنج، فانهزم عسكر المصريين إلى عسقلان، وعسكر طُغْتِكين إلى بصرى، [وقُتِل من الفريقين عددٌ كثير، ولمَّا وصل طُغْتكين إلى بصرى[٣]] وجد أرياش وأيتكين قد خرجا منها إلى الرحبة، فأمن أهل بصرى وسلَّموها إليه، فلم يتعرَّض لهم، وطيَّب قلوبهم.

وفيها بعث ضياء الدين [محمد] وزير ميَّافارقين إلى قُليج أرسلان بن سلمان بن قُتُلْمِش وهو بملطيةَ يستدعيه إلى ميَّافارقين.

---

(١) العباره في (ب): ولاحت وأبراج رفينة!

(٢) في (ب): فخر الملوك.

(٣) ما بين حاصرتين في هذا الموضع والموضع الآتي من (ب).

ذكر بداية قُليج[١] أرسلان:

كان قد قصد باب السلطان ملك شاه جلال الدولة، وأقام في خدمته، فأمره بقصد الروم، فسار في جيش من النازكية[٢]، ففتح ملطية وقيسارية وأقصرى وقُونية وسيواس وجميع ولاية الروم وأقام بها، فلمَّا كاتبه وزير ميَّافارقين قدم إليها وملكها، واستوزر ضياء الدين محمد، وجمع أمراء دياربكر؛ إبراهيم صاحب آمِد، والسبع الأحمر صاحب أسعرد، وجماعة، وولي ميَّافارقين مملوك أبيه خمرتاش السليماني، وكان أتابكه، وخرج من ميَّافارقين، وأخذ معه ضياء الدين، وأقطعه أبُلُستين[٣] وجاء إلى الموصل فالتقاه جاولي مملوك السلطان محمد، فكسره، فانهزم قُليج أرسلان، فلما رأى الهزيمة ألقى نفسه في الخابور، فغرق، وحُمِلَ تابوته إلى ميَّافارقين وقام خمرتاش السليماني في الملك.

وقيل: إن الذي فتح الروم هو سليمان بن قُتُلْمِش وبعده قُليج أرسلان.

قال المصنف رحمه الله: كذا رأيت في «تاريخ ميَّافارقين»، ورأيت في «تاريخ دمشق» لابن القلانسي أنَّ قُليج أرسلان غرق سنة خمس مئة، وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى.

وفيها بعث يوسف بن تاشفين أميرُ الغرب إلى المستظهر يخبره أنه خُطب له بالمغرب، ويطلب الخِلَعَ والتقليد، فبعث إليه ما طلب.

وابن تاشفين أول أمراء الملثَّمين، ومات سنة خمس مئة، وقام بعده ولده علي بن يوسف، وفي أيامه ظهر محمد بن عبد الله بن تومرت، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفِّي

بركياروق [ابن] ملك شاه[٤]

أبو المظفر، السلطان، قدم العراق ثلاث مرات، وخُطِبَ له ببغداد ست دفعات، وكان بأصبهان، فاشتدَّ مرضُه، وكان به سِلٌّ وبواسير، فخرج من أصبهان في المُحرَّم

---

(١) بعدها في (خ) زيادة كلمة: بن.

(٢) في (ب): الماركية.

(٣) أبلستين: بلدة مشهورة من بلاد الروم. معجم البلدان ١/ ٧٥.

(٤) المنتظم ١٧/ ٩٠ ـ ٩١، ٩٣، والكامل ١٠/ ٣٨٠ فما بعدها. وتنظر بقية المصادر في السير ١٩/ ١٩٥. وما بين حاصرتين من (ب) والمصادر

يقصد بغداد، فاشتدَّ مرضُه، فأقام بِبَرُوجِرْد أربعين يوماً مريضاً، وتُوفِّي في ربيع الأول وهو ابن أربع وعشرين سنة [وشهر[1]]، وكانت ولايته اثنتي عشر سنة.

ولمَّا احتُضر أوصى بولده ملك شاه إلى الأمير إياز فدخل بغداد، ونزل بالصبي في دار المملكة وعمره أربع سنين وعشرة أشهر، وأجلسه على التخت مكان أبيه، وخُطب له ببغداد في جمادى الأولى بالسلطنة، ولُقِّب بجلال الدولة، ونُثِرتْ الدراهم والدنانير، وكان سيف الدولة ابن مَزْيَد قد جمع خلقاً عظيماً، وكان مبايناً لإياز وعسكر بركياروق، وكان محمد شاه [بإرمينية، فسار يريد بغداد، فخيَّم إياز بالزاهر، وجاء محمد فنزل بالرملة فركب إياز، وشارف عسكر محمد شاه][2] وشاور وزيره الصفي، وقال: ماترى؟ قال: المصلحة مصالحة محمد شاه. فقال له: اعبُرْ إليه واستوثِقْ منه، وقُلْ له: إني نظرتُ في المصلحة، فرأيتُ أن أغمد سيوف الإسلام، وأحقن دماءهم. فعبر الوزيرُ إلى محمد شاه فأجابه، وعبر ابنُ جَهير وزيرُ الخليفة وإلكيا الهراسي والقُضاة والأشرافُ، وأخذوا اليمين على محمد شاه، واستوثقوا منه، وعبر إليه إياز وخدمه فأكرمه، وعبر محمد شاه إلى دار المملكة، وكان إياز نازلاً في دار سعد الدولة الكوهراني، فعمل السلطان محمد دعوة عظيمة، وقدَّم له الغلمان الترك، والخيل العتاق ، والأسلحة، والجواهر النفيسة، وفيها الحبل الياقوت الذي كان لمؤيد الملك ابن نظام الملك، واتفق أنَّ الأتراك مازحوا رجلاً فألبسوه سلاحاً وفوقه قميصاً، وتناولوه بأيديهم، فدنا من السلطان، فرأى السلاح تحت ثيابه، فاستشعر، ونهض من مكانه إلى داره، واستدعى إياز وسيف الدولة صدقة والوزير ابن سعد الملك إلى داره، وأجلسهم في مكان، وخرج الحاجب، وطلب واحداً واحداً ليستشيره في أمر، فأول ما قام إياز وقد أوقف له في الدهليز غلماناً فقتلوه، ثم جمع بين رأسه وجسده، وكفَّنوه في خرقة خام، ودفنوه بمقابر الخيزران، وذلك في جمادى الآخرة ، ثم خرج محمد شاه من بغداد يريد الجبل، وفوَّض الأمر إلى الرَّشيقي، وجعله شِحْنة العراق، وردَّ أمرَ واسط إلى صدقة بن مَزْيَد.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي المنتظم: وشهرين.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

وقال ابن القلانسي: وفي سنة ثمان وتسعين وأربع مئة وردت الأخبار بوفاة بركياروق بنهاوند بعد أن تقرَّرت الأحوال بينَه وبين إخوته، بحيث تكون مملكة خراسان لسنجر وأصبهان وهَمَذان وبغداد وما والاها، والسلطنة لبركياروق، وإرمينية وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والشام وما يليه لمحمد شاه، وتوجَّهت عساكر بركياروق بعد وفاته إلى بغداد، ومُقدَّمها إياز، وتوجَّه السلطان إلى بغداد، فلمَّا عرف إياز خاف منه على نفسه، فهرب ومعه ملك شاه بن بركياروق، ودخل السلطان محمد بغداد، وجاءه صدقة بن مَزْيَد، واستقرَّ أمرُه معه، وعرف إياز أنَّ أمره لا يستقِلُّ إلَّا بالعود إلى طاعة السلطان محمد وخدمته، فراسله، وطلب منه الأمان، واستحلفه على الوفاء، وجاء ومعه بركياروق طفل صغير، فلمّا كان بعدَ أيام غدر به محمد شاه، وأخلف وعده، ونقض عهده، وقبض عليه وهو آمن مطمئن فقتله، وجعل سبب هذا القتل أموراً أوردها، واحتجَّ بها ليُعذر في فعله، وما هو بمعذور.

عيسى بن عبد الله بن القاسم[1]

أبو المؤيَّد، الغَزْنَوي، الواعظ. قدم بغداد، ووعظ بها، ونصر مذهب الأشعري، وقامت الفتنة، فأُخرِجَ منها، وقصد غَزْنة، فمات بإسفرايين.

وقال ابن الهَمَذاني: كان الغَزْنَوي ببلده كاتباً بين يدي عبد الحميد وزير صاحب غَزْنة، فترك دنيا واسعة، وأقبل على العلم، وجلس في دار[2] عميد الدولة ابن جَهير، وكان الوزيرُ سديدُ الملك حاضراً، فقال الغزنوي في كلامه: من شرب مرقة السلطان [احترقت[3]] شفتاه ولو بعد زمن. ثم قرأ: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، وأنشد: [من الوافر]

سديدَ المُلكِ سُدْتَ وخُضْتَ بحراً ... عميقَ اللُّجِّ فاحفظْ فيه رُوحَكْ
وأحْيِ معالمَ الخيراتِ واجْعَلْ ... لسانَ الصِّدْقِ في الدنيا فتوحَكْ
وفي الماضينَ مُعتبرٌ فأسرِجْ ... مَروحَكَ في السلامةِ أو جَموحَكْ

(١) المنتظم ١٧/ ٩٣، والكامل ١٠/ ٣٦٢-٣٦٣.
(٢) جاءبعدها في (خ) زيادة مقحمه وهي: عبد الحميد و.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) والكامل.

فقُبِضَ على الوزير بعد أيام، فعجِبَ الناسُ من هذا الاتفاق.

محمد بن أحمد[١]

ابن إبراهيم بن سِلَفة، أبو أحمد، الأصفهاني، كان زاهداً صالحاً عابداً ثقةً، سمع من الطيوري وغيره.

محمد بن علي[٢]

ابن الحسن بن أبي الصقر، أبو الحسن، الواسطي، تفقَّه على أبي إسحاق الشيرازي، وسمع الحديث الكثير، ومن شعره ـ وكانت ولادتُه سنة تسع وأربع مئة، ومات بواسط ـ فمنه: [من السريع]

مَنْ قال لي جاهٌ ولي حشمةٌ ... ولي قبولٌ عند مولانا
ولم يعُدْ ذلك نفعٌ على ... صديقِهِ [لا[٣]] كان مَنْ كانا

وقال: [من البسيط]

وحرمةُ الودِّ مالي عنكمُ عِوَضٌ ... وليس لي في سواكُمْ بعدكم غرَضُ
أشتاقُكُمْ وبوِدِّي لَوْ يُواصِلُني ... منكُمْ خيالٌ ولكن لستُ أغتَمِضُ
وقَدْ شرطْتُ على قومٍ صحبتُهُمُ ... بأنَّ قلبي لكُمْ مِنْ دونِهِمْ فَرَضُوا
ومِنْ حديثي بكُمْ قالوا به مَرَضٌ ... فقلتُ لازالَ عنِّي ذلكَ المرضُ

وقال مما يُكتب على فصٍّ عقيق: [من البسيط]

ما كانَ قبْلَ بُكائي يومَ بينكُمُ ... فَصِّي عقيقاً ولا دمعي استحالَ دما
وإنَّما مِنْ دموعي الآنَ حُمْرتُهُ ... فانظُرْ إلى لونه والدمعِ كيف هما

وجاء يوماً إلى باب نظام الملك، فمنعه البواب، فكتب إلى نظام الملك: [من الكامل]

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٤.

(٢) المنتظم ١٧/ ٩٤، والكامل ١٠/ ٣٩٦-٣٩٧، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٧-٢٦٠. وتنظر بقية المصادر في السير ١٩/ ٢٣٨.

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (خ) واستدرك من (ب)، والكامل، ومعجم الأدباء.

لـــلـــهِ درُّكَ إنَّ دارَكَ جـــنَّـــةٌ لـكِـنَّ خـلْـفَ الـبـابِ مـنـهـا مـالـكـا
أنـعِـمْ بـتـيـسـيـر الـحـجـاب فـإنَّـنـي[1] لاقَـيْـتُ أنـواعَ الـنَّـكـالِ هُـنـالِـكـا

فاستدعاه وقال له: إذا كنتَ غنياً عن مالنا فانكفِئْ عنَّا. فقال: كلانا شافعيُّ المذهب، وإنما أتيتُكَ لمذهبك لا لذهبك.

كان[2] ابن أبي الصقر قد أسنَّ، فقال يعتذر إلى أصدقائه حيثُ لم يقدِرْ على القيام لهم: [من الخفيف]

عِـلَّـةٌ سُـمِّـيـتْ ثـمـانـيـنَ عـامـاً مـنـعَـتْـنـي لـلأصـدقـاءِ الـقـيـامـا
فـإذا عُـمِّـروا تـمـهَّـدَ عُـذْري عـنـدهُـمْ بـالـذي ذكـرتُ قـيـامـا

وقال: [من الوافر]

إذا مـا مـرَّ يـومٌ بـعـدَ يـومٍ ووجـهـي مـاؤهُ فـيـه مـصـونُ
وقُـوتـي قُـرْصـتـانِ[3] إلـى ثـلاثٍ بـهـا مِـلْـحٌ يـكـونُ ولا يـكـونُ
وسِـربـي[4] آمـنٌ وأنـا مُـعـافـى ولـيـسَ عـلـيَّ فـي الـدنـيـا ديـونُ[5]
فـمـا أشـكـو الـزمـانَ فـإنْ شـكَـوْتُ الـزَّمـانَ فـإنَّـهُ مِـنِّـي جُـنـونُ

يعقوب بن سليمان

أبو يوسف، القاضي الإسفراييني، الشافعي، خازن دار الكتب بالنظامية، كان أديباً، فاضلا، مفتياً، توفي في رمضان وقد جاوز الثمانين، ومن شعره يمدح بهاء الدولة منصور بن دبيس الأسدي:

---

(١) في (خ): فإنها، والمثبت من (ب).

(٢) في الأصلين (خ) و(ب): وقال، لكن جاء على هامش (ب) قوله: لعله كان. قلت: وهو الذي يتناسب مع السياق.

(٣) القُرصة: خبزة صغيرة مبسوطة مدورة. المعجم الوسيط (قرص).

(٤) يقال: فلانٌ آمِنٌ في سِرْبه - بالكسرة - أي: في نَفْسه، وبالفتح: المسلك والطريق. النهاية في غريب الحديث (سرب).

(٥) هذا البيت والذي قبله مقتبسان من حديث: «من أصبح منكم معافًى في جسده، آمناً في سِرْبه، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزَتْ له الدنيا بحذافيرها»، والحديث أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١) من حديث عبد الله بن محصن ﷺ، وهو حديث حسن بمجموع طرقه، وينظر تمام تخريجه في تفسير ابن كثير ٣/ ٦٩ [طبعة مؤسسة الرسالة].

أيا شجراتِ النيلِ مَنْ يضمَنُ القِرى إذا لم يكُن جارُ الفراتِ ابنَ مزيَدِ
إذا غابَ منصورٌ فلا النورُ ساطعٌ ولا الفجرُ بسَّامٌ ولا النجمُ مهتدي[1]

السنة التاسعة والتسعون وأربع مئة

فيها ظهر رجل بنواحي نهاوند فادَّعى النبوة، وكان يمخرق بالنجوم والسحر، وتبِعَه خلقٌ كثيرٌ، وحملوا إليه أموالهم، فكان يعطي جميع ما عنده لمن يقصده، وسمَّى أصحابه بأسماء الصحابة؛ أبا بكر وعمروعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين.

وخرج في هذا الوقت بنواحي نهاوند أيضاً رجلٌ من ولد ألب أرسلان يطلب الملك، فطُلِبا وأُخِذا وقُتِلا في يوم واحد، فكانت مدَّتهما شهرين[2].

وفيها خرج الفرنج إلى سواد طبرية، وشرعوا في عمارة حصن بين السواد والثنية يُقال له: عال، وكان منيعاً، وبلغ طُغْتِكين، فسار في عسكره فبيَّتهم ليلاً، فقتلهم وأسرهم، وأخذ الحصن بما فيه من آلةٍ وغيرها، وعاد إلى دمشق بالأسارى [والغنائم[3]] في جمادى الآخرة.

وفي هذا الشهر ظهرَ كوكبٌ له ذؤابة كقوس قُزَح من الغرب إلى نصف السماء، فأقام ليالي ثم غاب[4].

وفيها ملكت الإسماعيلية حصن أفامية، وقتلوا خلف بن ملاعب صاحبه بأمر أبي طاهر العجمي الصانع المقيم بحلب مقام المنجم، وكان بفامية رجلٌ من دُعاتهم يقال له: أبو الفتح السرميني، فقرَّر ذلك مع أهلها، فثقبوا السور، وهجموا على ابن ملاعب فطعنوه بحربة فمات ، ونادوا بشعار رضوان صاحب حلب، وكان رضوان قد بنى لهم بحلب دار دعوة، وهو أول من عملها، وبقي الحصن في أيديهم حتى أخذه الفرنج منهم سنة خمس مئة.

---

(١) البيتان في معجم الأدباء ١٧/ ٢٣٧- ٢٣٨ .
(٢) هذا الخبر في المنتظم ١٧/ ٩٥ .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) الخبر في الكامل ١٠/ ٤١٤-٤١٥ .